

الحدائثة.. ضبابية المصطلح وغموض المفهوم

يبدو أن مصطلح الحدائثة من أكثر المصطلحات النقدية التي تعددت فيها اجتهادات النقاد بحسب مناهج الدراسة أو زوايا النظر أو الخلفيات الكامنة وراء تحديد هذا المصطلح، ومع ذلك فإن مصطلح الحدائثة يظل متمتعاً على التحديد الجامع المانع، وكثيراً ما نجد عدداً من النقاد يعترفون بانطواء مصطلح الحدائثة على قدر كبير من اللبس والغموض، واللاوحدة والتناقض على المستويين الاجتماعي والإبداعي، إذ أن فيه كثيراً من الغموض والإبهام والتشويش.

ستظل الحدائثة العربية مجلوبة بنوع من الحيلة والسرقة، ويشير إلى أن ما ينبغي أن يتمسك به ونحاكيه هو ذلك اللهب الذي أوقده أسلافنا، لهب السؤال والبحث عن الحقيقة برؤية جديدة، يبدو فيها الجديد وكأنه طالع من القديم، وفي هذا سر التواصل العميق بين التراث والمعاصرة.

ويؤكد الناقد السعودي عبدالله الغدامي على أهمية المزاجية بين التراث والمعاصرة في هذا السياق، مؤكداً أنه لا يمكن الوصول إلى مفهوم للحدائثة إلا إذا تم تصفية الاختلاف من ثلاثة أمور: تأتي مشروعية الأخذ من الموروث بل ضرورة هذا الأخذ على رأسها، ثم الإيمان بأن في الموروث العربي سمات جوهرية هي بمنزلة الروح من الجسد، وهي ثوابت لا يمكن صرفها أو تبديلها، وأن تقبل بوجود متغيرات تسير بجانب تلك الثوابت.

أزمة الحدائثة العربية

لا شك أن وضعية الحدائثة العربية وعلاقتها بالحدائثة الغربية تمثل إحدى الإشكاليات التي توقف النقاد والمفكرون عندها كثيراً، وأثارت لديهم جدلاً واسعاً، وتتجلى هذه الإشكالية من خلال التقاء الثقافة العربية بالثقافة الغربية التي أفرزت حدائتها، وليست اللحظة الراهنة هي اللحظة الأولى التي تحقق فيها الالتقاء بالآخر، إذ كانت لحظة الالتقاء الأولى في العصر العباسي، بيد أن الأمر كان مختلفاً تماماً عن اللحظة الراهنة، إذ كانت الثقافة العربية الإسلامية يومها في موقف المهيمن الذي تتاح له عملية الاستيعاب بتلقائية تامة، وكانت هذه الثقافة في وضع يسمح لها بالامتداد، وكسب مواقع جديدة متقدمة بين الثقافات الإنسانية، فتخربت ما ينسجم مع هويتها وصهرته في نسجها، لكن اللحظة الراهنة تعيش فيها الثقافة العربية والإسلامية حالة انحسار، إذ كانت لحظة الالتقاء بين طرفين: طرف غاز ومستعمر، وطرف آخر مستعمر، فبرزت أزمة اختلاف حضاري وثقافي بالدرجة الأولى، لكن الانبهار بإنجازات العقل الغربي بعد إجابات المواجهة مع الحضارة الغربية أعاننا عن هذا الاختلاف.

د. عبد الحميد الحسامي

الغربية في الانعتاق من هيمنة الموثوقات المعرفية، وتحقيق مركزية الإنسان، وهيمنة العقل، ويمثل هذا التيار الناقد السوري كمال أبو ديب، الذي يقول إن الحدائثة انقطاع معرفي، لا تكمن مصادرها المعرفية في التراث، لا في كتب ابن خلدون الأربعة، ولا في



أبوديب



أدونيس



حموده

(المرايا المقعرة) حيث يرى أن الحدائثة في أبسط تعريفاتها ثورة على القوالب التقليدية، وأنها لا تتم إلا بتحقيق القطيعة مع التراث، ويرى أن مرحلة (الحدائثة)، التي بدأت عام 1967م عمقت الشرخ الثقافي، وبلخص موقف الحدائثيين بالاحتقار للتراث العربي، والانبهار بالحضارة الغربية، وقد وجه في كتابه المذكور انتقادات عنيفة للحدائثة العربية، مؤكداً على عدم

كما يُنظر إلى الحدائثة على أنها كلمة رخوة ضبابية عرفت التمدد والانحسار حتى تحولت إلى كلمة تقول شيئاً ولا تقول شيئاً في آن واحد، وأنها مصطلح مراوغ منقلب وملتبس يتأبى على التماسك والتحديد، ويمتلك خاصية الاستفزاز وإثارة الجدل، وليس أدل على إشكالية هذا المصطلح من أن الشاعر السوري أدونيس وهو الذي بدأ ينظر لمفهوم الحدائثة منذ أكثر من ثلاثين عاماً يعترف بعد هذه المدة الطويلة بحيرته أمام دلالة هذا المصطلح ذاهباً إلى أن الحدائثة إشكالية معقدة يصعب تحديد ماهيتها.

فوضى المصطلح

أخذ النقاد العرب يعملون على ترجمة مصطلح الحدائثة في ظل المناقشة مع الآخر الغربي، وقد أصيب هذا المصطلح بكثير من الخط، فلم يجد له معادلاً مستقلاً، فالناقد (كاظم جهاد) في ترجمته لكتاب (ما الحدائثة) للناقد الفرنسي (هنري لويغر)، يتحدث عن (الحدائثوية)، بينما يتحدث صباح الجيهم في ترجمته لكتاب (نقد الحدائثة) عن (الحدائثية)، أما سامي مهدي فيتحدث في كتابه (أفق الحدائثة) عن (العصرية)، ويقترح الناقد فاضل تامر مصطلح (الحدائثانية)، ويرى نعيم اليافي أن مصطلح (المعاصرة) هو الأصح، وتتداخل جملة من المصطلحات وتترادف مع بعضها ترادفاً ينطوي على قدر كبير من الإبهام الذي يشكل خلافاً مفهوماً يشوش على القارئ ويجعله في حيرة وارتباك، وتتداخل منذ العشرينيات، ولا يزال إلى الآن.

تعدد المفهوم

لا شك في أن اضطراب مصطلح الحدائثة يسحب نفسه على عملية تحديد المفهوم، إذ يصبح إيجاد تعريف محدد أمراً متعذراً، ونجد أن هناك عدة منطلقات لتعريف الحدائثة، حيث أن أول هذه المنطلقات يعد الحدائثة أطروحة غربية، وأن الحدائثة في نسختها العربية تمثل نسخة مشوهة، تفتقر إلى الأصالة، وليست أكثر من ارتداء في أحضان الغرب. وقد مثل هذا التيار نقاد كثر، أبرزهم الناقد عبدالعزيز حمودة مؤلف كتاب

جدواها، داعياً إلى إيجاد حدائثة عربية تتلقت من التراث العربي.

ويحمل حمودة هذه الحدائثة مسؤولية الشرخ الثقافي، الحاصل في الثقافة العربية، ويصف ثقافتها بـ(ثقافة الشرخ)، ويرى أنه فضلاً عن تأكيدها التبعية الثقافية فإن الحدائثيين العرب ومن بعدهم يضيفون إلى خطاياهم خطيئة جديدة، وهي العبث بالعقل العربي.

ويوافق هذا الرأي الناقد سامي مهدي، الذي يقول إن الحدائثة بمعناها الراهنة ليست سوى أطروحة غربية مصطلحا ومفهوماً، وإنما إذا طمحنا إلى تحقيق حدائثة عربية، فإنه ينبغي أن نؤسسها على سؤال داخلي ينبثق من داخل الشاعر ودخل الشعر، ودخل اللغة العربية وقوانينها الخاصة، ودخل تراثها الأدبي والفكري ونظامه وأدواته، وسؤال يبحث يكشفان كل ما هو حي ونابض في تراث الأمة، وينطلقان منه إلى أفق جديد مفتوح.

أما المنطلق الثاني في الحدائثة العربية، فهو اتجاه يرى أن الحدائثة هي انقطاع عن الماضي، ويدعو هذا التيار إلى أن تتماثل الحدائثة العربية بالحدائثة

اللغة المؤسساتية والفكر الديني.. الحدائثة انقطاع لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر والفكر العلماني، وكون الإنسان مركز الوجود، وكون الداخل مصدر المعرفة اليقينية، وهي أعنف شرح يضرب الثقافة العربية في تاريخها الطويل.

ويتبعه في ذلك كل من مطاع الصفي، ويوسف الخال، ومحمد بنيس، وهذا الأخير يرى أن الحدائثة ذات بعد معرفي فضلاً عن أنها ذات أبعاد سياسية واجتماعية، والبعد المعرفي للحدائثة معناه -حسب بنيس- الخروج من الأرضية المعرفية التقليدية المعتمدة أساساً على رؤية لاهوتية إلى أرضية مغايرة تعتمد المحسوس والمتعدد.

ويجمع الاتجاه الثالث في مفهومه للحدائثة بين الأصالة والمعاصرة، ويرى أن الحدائثة الحققة لا تتشكل بعيداً عن الموروث الحضاري للأمة، ومن أبرز الأصوات في هذا الاتجاه الشاعر السوري علي أحمد سعيد أدونيس، الذي يرى أنه لا بد من إعادة النظر في الحدائثة الراهنة، انطلاقاً من وعي السياق التاريخي بمختلف أشكاله: الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ودون إعادة النظر في ذلك

الأدب الإسلامي

صدر العدد الجديد (65) من مجلة (الأدب الإسلامي) الصادرة عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، متضمناً عدداً من



المقالات النقدية والنصوص الإبداعية، منها: غياب النقد في أدب الأطفال: الواقع والأثر - أمير شعراء الأثر - الأدب الإسلامي واستعادة الدور الحضاري - الأدب الإسلامي والمذاهب الغربية - في ظل الحرم - مآذن حطين.

جديد النور

صدر العدد الجديد (226) من مجلة النور، مشتملاً على عدد من المواضيع المتنوعة، منها: فتح الله كولن - حكيم الفكر الإسلامي - الخطاب الإسلامي - وظلم ذوي القربى - الحقوق السياسية: هل أصبحت عطايا



مشفوعة باليمن والأذى - اليمن ومشكلة المياه - ما القلب الذي تحمله؟ كما تضمن العدد أخباراً حول العالم الإسلامي، وحواراً مع الدكتور عبدالمجيد فرحان القيادي في جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية.

الأكوع وكتاب في علم الأنساب

صرح عدد من أبناء المؤرخ إسماعيل بن علي الأكوع بأن ورود اسم أبيهم على غلاف كتاب حول مشجر العرب العاربة من آدم إلى الأوس والخزرج كتحقيق إنما هو محض افتراء، وأن معد الكتاب - الذي أشاروا إلى اسمه في معرض إعلان في إحدى صفحات صحيفة الثورة الأنتين الماضي - إنما وضع اسم المؤرخ الأكوع لإضفاء المصداقية على هذا المطبوع ليسهل بعد ذلك تسويقه، وعلى اعتبار أن الرجل قد توفي، ولن يعمل على تصحيح هذه المعلومة أحد.

وأكد أبناء الأكوع أن لا ناقة لأبيهم في تأليف أو تحقيق هذا الكتاب ولا جمل، مشيرين إلى أن علم الأنساب كان خارج دائرة اهتمام أبيهم الذي صرف جهوده العلمية في مجال التاريخ قراءة وتأليفاً.



الموت لا يمر بهذه القمة

عبد الله علي الأقرم

كُلُّ البَطُولَاتِ فِي كَفَيْكَ تَتَقَدُّ

بِقَدْرِ رُوحِكَ يَبْقَى لِلشُّمُوعِ غَدُ

وَأَنْتَ فِي المَوْتِ لَمْ تَسْلَمْكَ دَاجِيَةٌ

إِلَى النِّهَائَاتِ ... لَمْ تَنْسِفْ صَدَاكَ يَدُ

مَا زَلْتَ تَهْتَفُ فِي رُوحِي وَفِي بَدَنِي

كَلاهُمَا مِنْكَ إِيمَانٌ وَمَعْتَقَدُ

هَذَا مَحَبَّتِكَ الحِمْرَاءُ فِي جَسَدِي

تَمَسِّي وَتَصَبُّحُ بِالإِبْدَاعِ تَجْتَهَدُ

لَبَسْتُ حَبْلَكَ أَنواراً تَزِينُنِي

وَزِينَتِي مِنْكَ أَحْلَاهَا هُوَ الأَبْدُ

مَا مَتُّ فِي خَافِقِي كُلِّي إِلَيْكَ مَضَى

إِلَى مَعَانِيكَ يَا نُورَ الهُدَى يَفْدُ

وَأَنْتَ فِي المَاءِ لَمْ تَخْضَعْ لِعَاصِفَةٍ

هِيَهَاتَ يَحْكُمُ فِي أَنهَارِكَ الزَيْدُ

وَأَنْتَ لِلخَلْقِ مِرَاةٌ تَصْنَعُهُمْ

وَمَعْدَنُ الصِّدْقِ فِيكَ الرُّوحُ وَالجَسَدُ

كَمْ مِنْ سَؤَالٍ عَلَى القُرْطَاسِ يَدْخُلُنِي

وَفِي الإِجَابَةِ كَمْ ذَا يَنْهَضُ البَلْدُ

أَمْهَبُ الوَحْيِ قَدْ أَهْدَاكَ عَالِمُهُ

أَنَّجُمُ النِّصْرِ فِي يَمَانِكَ تَنْعَقُدُ

أَكْفِيَةُ اللّهِ فِي جَنْبِكَ قَدْ سَطَعَتْ

وَفِي فِؤَادِكَ بِالأَذْكَارِ تَتَقَدُّ

مَا أَنْتَ إِلا نَبِيُّ اللّهِ كَمْ طَلَعَتْ

مِنْكَ المِشَارِقُ ... لَمْ يَوْقِفْ لَهَا أَمْدُ

فَتَحَتْ بِالخَلْقِ الأَسْمَى جِوَاهِرِنَا

وَوَجْهَكَ الفَتْحُ بِالأَخْلَاقِ يَنْفَرُدُ

أَخْلَاقَكَ الدَّرُّ النُّورَاءُ مَا انْطَفَأَتْ

وَفِي البَطُولَاتِ بِالأَبْطَالِ تَحْتَشُدُ

هَذَا رِسَالَتُكَ الخِضْرَاءُ فِي دِمْنَا

كَمْ ذَا تَدَاوَى وَلَمْ يَمْرُضْ بِهَا أَحَدُ

عَشْنَا ظِلَالَتِكَ لَنْ نَبْقَى كَمُعْضَلَةٍ

أَغْصَانُهَا الهَمُّ وَالأَمْرَاضُ وَالتَّكْدُ

كُلُّ العَوَاصِفِ لَنْ تَفْنَى بِأَصْلَعِنَا

إِلا وَيُخَلِّقُ مِنْكَ الحَبْلُ وَالتَّوَدُّ

هِيَهَاتَ نَرْحَلُ عَنْ بَدْرِ نَوْقِهِ

وَكُلُّ نَجْمٍ إِلى مَا فِيكَ يَتَّحِدُ